مجلة القانون الدستوري والمؤسسات السياسية
ISSN:2600-6286 / E-ISSN:2661-7706
المجلد السابع / العدد الأول (جوان 2023)
ص ص.(327-345).

تأثير الصراع على الغاز في منطقة شرق المتوسط على الأزمة السورية

The impact of the conflict over gas in the eastern Mediterranean region on the Syrian crisis

د. هشام صاغور، مخبر السياسة العامة والأمن الإقليمي للجزائر، جامعة غليزان (الجزائر)
hichem.saghour@univ-relizane.dz

الاستلام: 23/ 02/ 2023 تاريخ القبول: 2023/04/27 تاريخ النشر: 2023/06/01

الملخص:

تعتبر منطقة البحر الأبيض المتوسط من بين أهم المسالك الجيوستراتيجية في العالم والتي تتوسط ثلاث قارات ومعبرا اقتصاديا بينها، ومع تزايد الاحتقان والصدام بين القوى العالمية من اجل السيطرة على مناطق عبور المواد الطاقوية كالنفط والغاز، تبرز الأهمية الاقتصادية والجغرافية لدولة سوريا والتي تتزايد أهميتها كمعبر لمصادر الطاقة من دول الخليج إلى أوروبا من خلال مرور أنابيب الغاز عبر أراضيها، وهنا يتصاعد الصراع من خلال الحرب بالوكالة بين القوى العالمية التي تسعى للسيطرة على سوريا ومناطق النفوذ المحيطة بها

الكلمات المفتاحية: الطاقة، الغاز، شرق المتوسط، الصراع، سوريا، الأهمية الجيو سياسية

Abstract

The Mediterranean region is considered among the most important geostrategic routes in the world, which mediates three continents and an economic crossing between them, and with the increasing tension and clash between global powers in order to control the areas of transit for energy materials such as oil and gas, the economic and geographical importance of the State of Syria emerges, which is increasingly important as a crossing for energy resources From the Gulf countries to Europe through the passage of gas pipelines through their lands, and here the conflict escalates through the proxy war between the global powers that seek to control Syria and the areas of influence surrounding it.

Keywords:Energy, gas, eastern Mediterranean, geopolitical importance, conflict, Syria

مقدمة

في الوقت الحالي أصبحت تشكل الحدود البحرية بين الدول المطلة على منطقة شرق البحر المتوسط أهمية بالغة نظرا لاكتشافات الغاز والنفط، بعدما كانت ليست على مستوى الأهمية في الماضي القريب، لدرجة أنه بات من المؤكد أن من يتحكم بموارد الطاقة المستقبلية يتحكم بالسياسة والاقتصاد الدوليين.

تعد منطقة شرق المتوسط من الأوعية الريادية من حيث احتياط الطاقة، وهذا ما شكل سببا في تزايد اهتمام الفواعل الدولية بها، وهو ما نتج عنه تغييرات هيكلية في إقليم الشرق الأوسط برمته، لا تزال تداعياتها في تطور مستمر على دول المنطقة وشعوبها.

لذا تهافت القوى الإقليمية و الدولية من أجل الظفر بمكانة تؤهلها لاستغلال الموارد الطبيعية الموجودة في شرق المتوسط و في مقدمتها الغاز، و الهدف من هذا طبعا هو تحقيق منافع اقتصادية و سياسية و أمنية، وعليه تشهد المنطقة منذ مدة تصاعد كبير في التوتر بين دول حوض شرق البحر الأبيض المتوسط، زادت حدته بعد اكتشاف تركيا لأكبر حقل غاز في منطقة البحر الأسود في سنة 2020.

لقد تسبب هذا التوتر المستمر في شرق المتوسط في العديد من الصدامات والصراعات التي لا تزال لم تسوى بعد وأهمها الأزمة السورية التي يشكل الغاز فيها أحد أهم الأسباب لاستمرار الصراع، و على هذا نطرح الإشكال التالي:

إلى أي مدى انعكست المشاريع الطاقوية الخليجية على الأزمة الأمنية السورية ؟

فرضية الدراسة

وكإجابة مؤقتة تقتضي الصحة و البطلان نختبر الفرضيات التالية:

- يشتد النزاع بين الفواعل المؤثرة في سوريا كلما تعلق الأمر بالسيطرة على خطوط الإمداد الطاقوية.

- كلما توافقت الرؤى حول ضرورة الإمداد بالمواد الطاقوية، كلما ازداد التصعيد الأمني بين القوى المتصارعة في سوريا.

-أهداف الدراسة

تهدف هذه الورقة إلى تحقيق عدة نقاط علمية أكاديمية نعددها كالتالي:

-1 فهم الصراع في الشرق الأوسط و أهم مسبباته.

-2 إزالة الغموض عن الأزمة السورية وذلك القدر من الأدلجة المقصودة، لفهم الأزمة بصورة أدق و أصح.

-3تسليط الضوء على الأسباب الخفية و الحقيقية وراء توازي التصعيد والتماطل في حل الأزمة.

-4إزالة اللبس والتفكير النمطي حول التفاعلات السياسية في شرق المتوسط و إعطاء منظور علمي مؤسس وذي مرجعية أكاديمية.

أهمية الدراسة

تعتبر هذه الدراسة محاولة جادة لفهم ما يجري على الساحة الجيوسياسية و الجيو-اقتصادية في شرق المتوسط، وتنبع أهميتها من عدة اعتبارات أهمها:

- الاعتبار الأول: الصراع الحالي هو صراع مشاريع براغماتية، لذلك فان الدراسة ترصد أهم الصراعات في الشرق الأوسط وتعطيها نظرة علمية.

- الاعتبار الثاني: استخدام الدراسة المنظار الواقعي في تفسير أحد الأسباب التي تؤجج الصراع في سوريا وهو مشاريع مد أنابيب النفط والغاز، لذلك فان تفردها بهذا الموضوع يجعلها دراسة ذات أهمية بالنسبة للتخصص.

منهجية البحث: لكل دراسة منهج معين أو توليفة من المناهج المستعملة تقتضيها طبيعة الموضوع هي:

المنهج التاريخي: استعانت الدراسة بهذا المنهج لرصد المراحل التي مرت بها اتفاقيات خطوط الغاز بين سوريا و الدول الأخرى.

منهج دراسة الحالة: من خلال دراسة الأزمة السورية في إطار محيطها و التفاعلات التي تحدث فيه و الهدف هو تشخيص الحالة و محاولة معرفة مسبباتها لإيجاد حلول.

المبحث الأول: الأهمية الجيوسياسية و الجيو-اقتصادية لسوريا

في هذا المبحث ستركز الدراسة على الأهمية الجيوسياسية و الجيو- اقتصادية لسوريا التي جعلت الصراع عليها محموما بين القوى الإقليمية و الدولية فالصراع الدائر في سوريا منذ ثماني سنوات يتخذ طابعا سياسيا مع صبغة عقائدية دينية، لكن في الخلفيات هناك الكثير من الحسابات و المصالح الإقليمية و الدولية.

المطلب الأول: الأهمية الجيوسياسية لسوريا

نحاول في هذا المطلب أن نبين الأهمية الاستراتيجية لموقع سوريا حتى نبين مدى أهميتها للمرور الافتراضي لأنابيب الغاز الإيراني أو القطري وهي من الأسباب التي يفترض الكثيرون أنها سبب الصراع في سوريا هناك.

الفرع الأول: مقومات الجغرافيا السورية

عندما نتتبع تاريخ العلاقات الدولية والاستراتيجيات التي اتبعتها الدول في تحقيق مصالحها في مختلف المناطق الغنية بالموارد و المعادن الثمينة نفهم أن عالمنا قائم على فكر جيوسياسي ومحكوم بتصورات مستقبلية، على أساس أن الجيوبلتيك تركز على سلوك و تفاعلات الدول في وقت معين و في منطقة جغرافية معينة و هذه السلوكات ما هي إلا انعكاس للمصالح، فالمصلحة هي التي تحرك الأبعاد الجيوسياسية.

من هنا تتأكد أهمية شرق المتوسط في حسابات الدول الكبرى التي أصبحت تتنافس عليه نتيجة لغناه بالنفط و الغاز الطبيعي، باعتبارهما مادتان هامتان وقت السلم والحرب و

لأنهما قوة محركة لوسائل النقل المدنية والعسكرية وما إلى ذلك هذا من جهة، و من جهة ثانية نظرا للموقع الاستراتيجي للدول العربية الذي يؤهلها للعب دور مهم فيما يخص مشاريع خط أنابيب الغاز، الذي له أهمية و تأثير كبير على حاضر و مستقبل الوطن العربي و يستطيع المتتبع الدائم لمجريات الأحداث في الشرق الأوسط وتحديدا سوريا أن يستشعر هذه الأهمية الكبيرة التي توليها الدول الكبرى اتجاه دول المنطقة، وهذا هو أصل الفكر الجيوبولتيكي فالدول التي تطمح لأن تكون قوية وفاعلة على الساحة الدولية هي مجبرة لأن تخطط لتحقيق مصالحها الحيوية، خاصة في ظل السباق المحتدم بين الدول على حجز مواقع متقدمة على المستوى الإقليمي و الدولي.

بالنظر للأهمية الجيوسياسية لسوريا وغناها بالموارد الطبيعية وموقعها المتميز حيث يمكننا اعتبارها قلب الشرق الأوسط إن لم نقل العالم وهذا لا يعتبر أمر مبالغ فيه فإذا ما اعتمدنا على نظرية ماكندر (MACKINDER) قلب العالم، نجد أن سوريا تقع في قلب الهلال الداخلي المحادي لروسيا التي تمثل قوى البر و التي تكون في مواجهة قوى البحر الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا و اليابان، تحاول قوى البحر الضغط باتجاه روسيا و هذه الأخيرة تحاول الدفاع عن نفسها فبالتالي تكون منطقة الهلال الداخلي هي المنطقة التي يحتدم فيها الصراع وهذا سبب أخر يضاف إلى السبب الجيو- اقتصادي الذي يعتبر أحد العوامل الأساسية التي تغذي الصراع في سوريا.

من الناحية الجغرافية تقع سوريا في الزاوية الجنوبية الغربية للقارة الأسيوية وهي قريبة من القارة الإفريقية وتواجه القارة الأوروبية، بعدما دخلت قبرص إلى مجموعة الاتحاد الأوروبي و تشرف على الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط الذي يعد بحق أهم بحار العالم و أكثرها حيوية، كما أنها تمثل بوابة تركيا إلى الوطن العربي و تعد الظهير الجغرافي غلى العراق غربا.

خريطة رقم 1: موقع سوريا

المصدر: https://www.infoplease.com/atlas/syria

موقع سوريا على الخارطة يبين لنا مدى أهميتها للمرور الافتراضي لأنابيب الغاز الإيراني أو القطري وهي من الأسباب التي يفترض الكثيرون أنها سبب الصراع في سوريا هناك.

الفرع الثاني: مؤشرات الأهمية الجيوسياسية لسوريا.

تتأكد الأهمية الجيوسياسية لسورية من خلال بعض المؤشرات نذكر أهمها:

-1 تعتبر ملتقى الطرق البرية و البحرية إلى آسيا و إفريقيا و أوروبا لها امتداد حيوي بإمكانه تغيير موازين القوى في الشرق الأوسط خاصة لحليفتها إيران.

-2 تمثل نقطة عرقلة لأمريكا لأنها تدعم إيران و دائما ضد عنصر أمريكا الحيوي في المنطقة ألا وهو إسرائيل.

ما يجدر الإشارة إليه هو وجود اختلاف كبير بين المحللين و الباحثين الأكاديميين حول أسباب الصراع في سوريا، فهناك من يرجع الصراع في سوريا إلى أسباب طائفية مذهبية، و هناك من يرجعها إلى الحرب الباردة بين روسيا و أمريكا، وهناك من يراها لعبة يلعبها الفاعلين الدوليين لزيادة نفوذهم في المنطقة وغير ذلك من الأسباب، ونظرا لغموض المشهد السياسي و العسكري في سوريا من الصعب التكهن و الحديث على أن سبب من هذه الأسباب المذكورة هو لوحده وراء الأزمة في سوريا، ولكن ما نستطيع تأكيده هو أن جميع هذه العوامل المذكورة لها دور كبير في تغذية الصراع في سوريا.

الموقع الجيوسياسي لسوريا جعل الأزمة فيها أكثر تعقيدا من مثيلاتها في العالم العربي و تحولت أزمة داخلية بين مجتمع منتفض ضد سياسات اقتصادية و اجتماعية لنظام مغلق، إلى حالة اصطفاف إقليمي ودولي غير مسبوق منذ نهاية الحرب الباردة، تتكون حالة الصراع من معسكرين يتألف كل منهما مجموعتين تتفاعل على ثلاثة مستويات رئيسية محلية و إقليمية و دولية (قبلان، 2013 ، صفحة 263) .

معسكر التغيير: يسعى للإطاحة بنظام الأسد و يدعمهم إقليميا كل من تركيا ودول الخليج على رأسها قطر و السعودية و معظم دول الخليج مع العلم أن العديد من دول الخليج في نهاية 2018 أبدت استعدادها ونيتها في إرجاع العلاقات الدبلوماسية مع نظام

الأسد على غرار الأمارات العربية، ومن وراء هؤلاء جميعا يقف الغرب بجناحيه الأوروبي و الأمريكي.

معسكر الحفاظ على النظام: و يسعون للحفاظ على نظام الأسد ويدعمونه وهم إيران و حزب الله اللبناني والعراق و دوليا يدعمهم روسيا و الصين مع أن هذه الأخيرة لم تكن ترغب بالتدخل ولم يكن موقفها واضح في البداية كونها تهدف فقط إلى الحفاظ على مصالحها الاقتصادية ولكنها في الأخير اتضح موقفها بالتصويت ضد القرارات التي كانت ستفرض ضد نظام الأسد في مجلس الأمن.

اللافت في حالة الاصطفاف الجديدة أن مصالح أطراف كل معسكر و أهدافه ليست متطابقة بالضرورة إلا أن حرصها على حسم الصراع لمصلحتها تغييرا أو حفاظا على الوضع القائم يشكل الدافع الأساس الذي يضعها في معسكر معين (قبلان، 2013، صفحة 264)، فروسيا مثلا حقيقة هي بمعسكر إيران وكلاهما يدعم نظام الأسد لكن ليس بالضرورة تكون لهم نفس المصالح و الدليل التوتر في العلاقة بينهما في الفترات السابقة.

وهنا نذكر ما جاء بهم نظروا الواقعية البنيوية الذي رأوا أن سبب الفوضى في العالم هو غياب سلطة فوقية لذا يكون الخوف و الغيرة و الشك و انعدام الأمن هو الدافع للصراع وهذا ما ينطبق على الفواعل الإقليمية و الدولية المتصارعة في سوريا (سميث، 2004، صفحة 23) .

في ذات السياق كان هناك من يستثمر من الانتفاضة السورية بذكاء ليس من قبل أجهزة استخبارات بعض الدول فحسب بل كذلك من قبل العقول التي تخطط لكبريات شركات النفط و الغاز، حيث أجريت قراءات متنوعة سوقت لروايات أكثر قوة و تماسك هي أن الانتفاضة تمظهرت في أحد جوانبها كحرب على سوق الغاز، لدرجة أنه تم تعتيم بعض هذه

القراءات لإحالة مجمل الحراك الشعبي في الشرق الأوسط إلى مقدمات لرسم الخارطة السياسية لما بات يعرف بعصر الغاز.

المطلب الثاني: المشاريع و المخططات الطاقوية الدولية في سوريا.

لا يمكن فهم الصراع في سوريا دون الحديث عن الغاز الطبيعي السوري, لا بل أن احد أهم عوامل الأزمة السورية هو الصراع الخفي بين القوى الكبرى حول خطوط أنابيب الغاز الطبيعي والاكتشافات الحديثة في الساحل السوري في شرق المتوسط، و مما لا شك فيه أن توفير الطاقة والبحث عنها هو أصل البقاء لأي دولة، لذا في هذا الجزء سنسلط الضوء على المشاريع و المخططات الطاقوية الدولية في سوريا.

الفرع الأول: الغاز الطبيعي كسبب في تصعيد الصراع بسوريا.

بعد اكتشاف احتياطات هائلة من الغاز في السنوات الأولى من هذا القرن خاصة حقول متعددة ضمن بادية سوريا و العراق و في السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط قبالة شواطئ سوريا ولبنان و فلسطين اشتد الصراع على سوق الغاز.

وبحسب ما ذكره الدكتور "عماد فوزي الشعيبي" حول نسب الثروة الغازية و النفطية في بر و بحر سوريا يقول " تقدر الثروة الغازية و النفطية في الساحل السوري بنسبة 38 %و تقدر نسبة الثروة الغازية تحديدا ب 10.83 تريليون م³، أما في البر تقدر بنسبة 62% وهذا يفسر سبب التواجد الأمريكي في شرق سوريا (الشعيبي، 2018).

ما يجدر الإشارة إليه منذ اندلاع الحرب الأهلية السورية في عام 2011، انخفض إنتاج النفط والغاز في سوريا بسبب عقوبات اقتصادية واسعة النطاق والصراعات في البلاد.

في الوقت الحاضر يتم تقسيم حقول النفط والغاز بين اللاعبين المحليين في النزاع السوري، الحكومة السورية والقوات الكردية والدولة الإسلامية (IS)،فكافة أجزاء الحقول يتم تأمينها

في تعارض مع بعضها البعض، كل هذه الفصائل لديهم جداول أعمالهم وطموحاتهم الخاصة، بعيدا عن الإرادة المشتركة.

في حين أن حكومة الأسد تستخدمها كسلاح لقتل السوريين المعارضين، أي كوقود للمعدات العسكرية، بالإضافة إلى الأغراض المدنية، ويستخدمها تنظيم الدولة الإسلامية لتمويل عملياتها الإرهابية وهي أساس دولتهم. وتستخدم القوات الكردية النفط لبسط سلطتها وعملياتها العسكرية (Dittmann، 2016، صفحة 01) .

هذه الاكتشافات عقدت من الأزمة السورية وحولتها إلى فوضى كبيرة مربكة، إلا أن المعركة الخفية حول خطوط أنابيب الغاز أصبحت تغذي أكثر الصراعات في سوريا، إذ ترى روسيا إن الأهمية الاستراتيجية التي تحظى بها سوريا يجعلها الحجر الأساس في اللعبة الجيوبوليتيكة الجديدة، لذا فهي تسعى ليس فقط من اجل ضمان بقاء دائم ومركز جديد للتوسع الروسي في المنطقة، وعدم إفساح المجال للنفوذ الغربي للتغلغل هناك، وهو ما يجعلهم ينظرون إلى لعبة التنافس الدولي على الغاز الطبيعي السوري على أنها لعبة صفرية ما يعد فيها مكسبا لروسيا يعد خسارة للغرب والعكس صحيح.

من هذا المنطلق ترى روسيا بان تحسن إدارة إمداد الغاز الطبيعي للاتحاد الأوروبي يجعل الأخير تحت نفوذها الاقتصادي لذا فإن الحفاظ على هذا السوق الحيوي مهم بالنسبة لروسيا، بالمقابل إن الهدف الاستراتيجي للاتحاد الأوروبي هو كسر هذه التبعية من خلال تقليل اعتماده تدريجيا، وهي الخطوة التي تدعمها الاستراتيجية الأمريكية الجديدة لأنها من شأنها إضعاف النفوذ الروسي (الدليمي، 2018، صفحة 01) .

إن المشهد الراهن لسوق الغاز و احتياطاتها تشير إلى أن 3 دول لا تزال في مقدمة منتجي الغاز وهي لا تزال صاحبة كبرى الاحتياطات وهذه الدول هي: روسيا، إيران، قطر.

وبعدما أشارت معظم التوقعات والقراءات الاستشرافية إلى أن اكتشاف هذه الثروة النفطية و الغازية في الشرق الأوسط و تحديدا سوريا قد يجعلها من بين أهم المنتجين للغاز في العالم، و لهذا تفطنت روسيا وقرأت الخارطة على ما يبدو قبل الجميع، وسعت لضمان حصتها في تقسيم مناطق النفوذ و المصالح مع القوى الأخرى حتى لا تكرر غلطها في الحرب الباردة التي أدت إلى سقوط الاتحاد السوفييتي، وعليه حرصت لأن تكون فعالة في منطقة الغاز الناشئة في شرقي المتوسط.

الفرع الثاني: ممرات نقل الغاز الطبيعي كمسبب للصراع.

على الرغم من أن سوريا ليست من كبار منتجي الغاز، فإن أهمية البلاد تكمن في وضعها باعتبارها دولة عبور هامة لخطوط الأنابيب المتنافسة من إيران وقطر، فمن الضروري بالنسبة لكل من طهران والدوحة أن يكون لها حكومة في دمشق من شأنها أن توافق على بناء خط أنابيبهم عبر الأراضي السورية.

وعليه تشير أغلب التحليلات إلى أن العروض المغرية كانت تنهال على القيادة السورية في عام 2009 للحصول على موافقتها لتمرير خط أنابيب الغاز القطري عبر أراضيها ومن ثم إيصاله برا إلى أوروبا، بغية تحييد النفوذ الاقتصادي لروسيا و خفض اعتماد أوروبا عليها في مجال الطاقة وكان توقيت هذه العروض في النصف الثاني من عام 2010، وعلى الأرجح لم كانت روسيا تتلصص على هذه المداولات كما لم تكن شركتها العملاقة " غاز بروم" غافلة (أزاد).

لقد رفض الاقتراح القطري للحكومة السورية بسبب المخاوف التي عقدتها سوريا حول تأثير هذا المشروع على حليفتها روسيا وعلى موقعها الحالي كمورد رئيسي للغاز إلى أوروبا في سياق مواز ومنافس، وبالترابط الوثيق مع أحداث الحراك الشعبي في الدول العربية، تسارعت المحادثات السرية بين حكومات كل من سورية، العراق و ايران، لمد خط أنابيب

لإسالة الغاز الإيراني عبر العراق، فإيران تمتلك احتياطيات كبيرة من الغاز في منطقة الشرق الأوسط، وعليه فأن مد خطوط الأنابيب عبر سوريا بإمكانه توفير شريان حياة اقتصادي مهم لإيران، كما يمثل تحدي للجهود التي تبذلها الولايات المتحدة الأمريكية لعزل وإضعاف إيران (Costigan، 2017، صفحة 05).

في يوليو 2011 وقعت إيران والعراق وسوريا على اتفاق بقيمة 10 مليارات دولار لبناء خط أنابيب لنقل الغاز الإيراني إلى أوروبا الغربية، يبلغ طول الأنبوب 5600 كلم لنقل 110 مليون م^3 من الغاز الإيراني يوميا عبر العراق وسوريا إلى البحر الأبيض المتوسط ثم إلى أوروبا خلال تصاعد الانتفاضة السورية صيف2011،و مع بقاء المستقبل السياسي للنظام في دمشق مجهولا، كانت حكومات سوريا والعراق و إيران جادة في توقيع اتفاقية يتم بموجبها السير بالمشروع، و العمل على تنفيذ الأنبوب المنشود، بتكلفة تقديرية تقارب 10 مليار دولار، و بمدة تنفيذ تقدر بحوالي ثلاث سنوات، بهدف وضعه قيد الاستثمار السريع.

تلخص المشهد السياسي في البلدان العربية عموماً وسوريا خصوصاً، في أن شكلت المتغيرات السياسية خطرا متعدد الجوانب على روسيا، و قد ترجم هذا الخطر في المشهد الجيو استراتيجي لعمليات إنتاج الغاز والنفط، وخاصة في احتمال نجاح أصحاب أحد الأنبوبين(القطري – التركي)الأنبوب باللون الأزرق على الخارطة، المستند على فرضية تغيير الحكم في سورية، أو الأنبوب الذي تم الاتفاق على تمديده بين إيران و العراق و سوريا وهو الأنبوب باللون الأحمر على الخارطة، هذا و قد رعت موسكو سياسيا نجاح تنفيذ الأنبوب باللون الأحمر يعني الأنبوب الإيراني ورجحته عمليا كأفضل حل لها (Costigan، 2017، صفحة 06)

خريطة 2: مشاريع خطوط أنابيب الغاز الإيراني و القطري

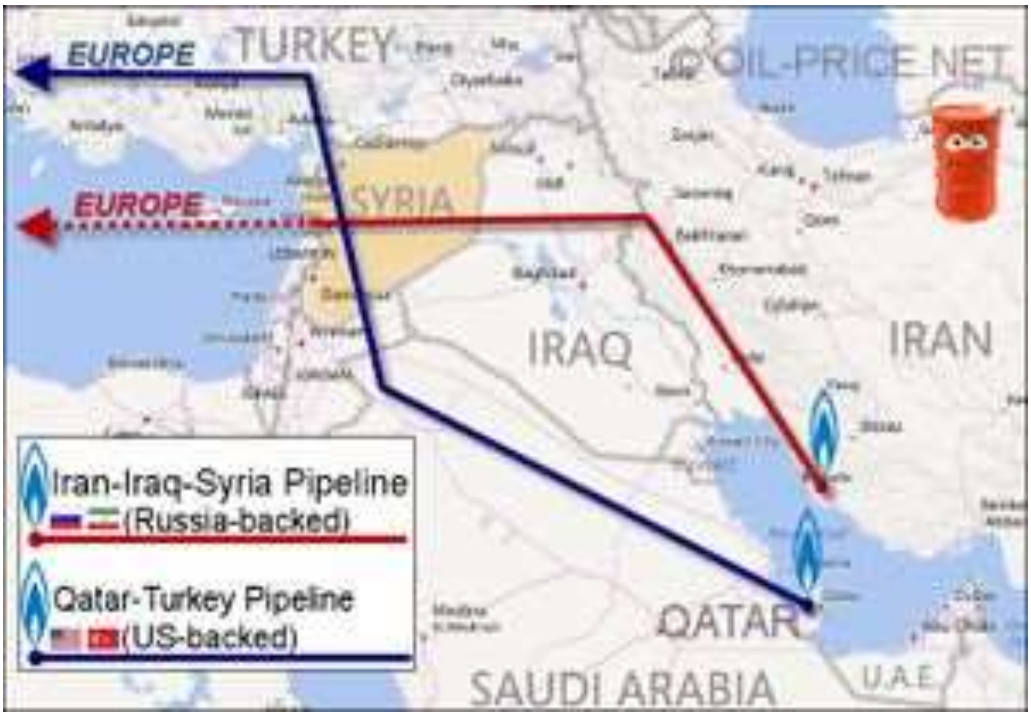

المصدر: https://www.marefa.org/خط_أنابيب_قطر-تركيا

من وجهة نظر الثوابت الجيوبولتيكية تتمتع إيران دون شك بالأولوية في هذه المسألة نظرا لعدة اعتبارات حسب "ألكسندر دوغين " كونها تستجيب لجميع المعايير الأوراسية فهي دولة قارية كبرى ترتبط ارتباطا شديدا بآسيا الصغرى وهي معادية بصورة جذرية لأمريكا، كما تحتل إيران في خارطة الأرض ذلك الموقع الذي يجعل إقامة محور موسكو- طهران يحل عددا ضخما من المشاكل بالنسبة للإمبراطورية الجديدة" (دوغين، 2004، صفحة 287).

بالإضافة إلى هذا فإن التمسك الروسي بنظام الأسد يحقق مكاسب استراتيجية تتلخص أولا بمنع مرور الغاز القطري إلى الأسواق الأوروبية عبر الأراضي السورية، خاصة وان قطر تسعى إلى كسر احتكار روسيا لتصدير الغاز إلى أوروبا، وتعزيز من مكانتها المتضائلة لدى

الدول الأوروبية وأمريكا ,وثانيا ,منع تركيا من الحصول على أية منافع اقتصادية من مرور الغاز القطري عبر أراضيها إلى أوروبا.

كما يسمح بقاء الأسد بوصول الغاز الإيراني إلى الموانئ السورية على البحر الأبيض المتوسط، إذ تسعى روسيا لإبرام عقود مع إيران طويلة الأمد، تتمكن من خلالها روسيا من تصدير الغاز الإيراني إلى أوروبا، على غرار العقود التي أبرمتها مع تركمنستان وأذربيجان للحصول على إنتاجها من الغاز بأسعار زهيدة، وإعادة تصديرها بالأسعار العالمية للدول الأوروبى، ,نتفهم من ذلك أن روسيا تستخدم الغاز الطبيعي ورقة لعب مريحة إلى حد بعيد، يمكن استخدامها في الألعاب السياسية.

من ذلك يتبين أن أقوى الأسلحة لدى روسيا في الحوار مع الغرب هي خطوط أنابيب الغاز , لان النفط يمكن الاستعاضة عنه ويمكن نقله بناقلات النفط، لكن احتكار روسيا لخطوط أنابيب الغاز المارة من الشرق إلى الغرب يمكن بالنتيجة استخدامها كأداة لتمرير مصالح سياسية ومواقف صلبة في حال التحدي ,أو في حال الالتفاف حول روسيا وتوفير مصادر جديدة للغاز الأوروبي وهنا يصبح دور سوريا أكثر أهمية للطرفين (الدليمي أ.، صفحة 01) .

المبحث الثاني الآفاق المستقبلية للصراع في سوريا

لم تكن السياسة يوما من الأيام أمرا واضحا و سهلا، بل أحد ثوابتها هو التعقيد و التشابك، ومن هنا فإن الأزمة السورية بحاجة إلى إعادة خلق كبرى للتوازنات لا في المنطقة فحسب بل كذلك على المستوى الدولي، ويبقى السؤال مطروح حول السيناريوهات المستقبلية للأزمة السورية؟ لذلك في هذا الجزء سنطرح أهم السيناريوهات المحتملة مستقبلا للصراع في سوريا.

المطلب الأول: السيناريوهات المحتملة للصراع في سوريا.

إن الطموحات و الأهداف من خوض الصراع في سوريا بالنسبة لأطرافه؛ تجعل من مستقبل هذه الأزمة في حالة من الإبهام و الغموض و صعوبة التنبؤ، إن صعوبة تحديد المسارات التي ستؤول إليها نتائج هذا الصراع ناتج عن عدم الفهم اليقيني بحيثيات الأزمة ودوافع أطرافها، فخطاب الأطراف خطاب سطحي يرفع شعارات تقبل كل التفاسير المموهة بذلك على معرفة الأسباب الحقيقة وراء تأجيج الصراع في سوريا، إن طرح البعد الطاقوي المتمثل في الغاز ودراسته أكاديميا يسهم بشكل ما في فهم أن هذه القضية محل تجاذبات متوازية القوة و التأثير لذلك فإن مستقبل الأزمة السورية مطروح أمامه عدة مساقات مستقبلية.

الفرع الأول: سيناريو استمرار الصراع.

-1 وفق هذا الوضع فان الصراع سيستمر على وتيرته الحالية، مع انتفاء الحسم العسكري وهذا في غياب الإرادة الدولية و الإقليمية في التوصل الى حل للازمة، مع بقاء الأطراف الخارجية في حروب الوكالة داخل سوريا، إذ تبقى موازين القوى على الأرض دون تغيير، حيث أن المعارضة وحلفاءها كلما تقدمت لتحقيق وضعية أفضل لها كلما زادت قوة النظام و استمات في الدفاع ما يعني أن البلد تتوجه نحو التقسيم إلى كانتونات و دويلات (للدراسات، 2015، صفحة 07) كالتالي:

- دولة علوية متبقية، يديرها نظام الأسد ويدافع عنها الجيش السوري، ميليشيات قوات الدفاع الوطني التابعة له، تظهر على الساحل البحر الأبيض المتوسط وتسيطر على دمشق.

-دويلة كردية قد تظهر في أقصى الشمال العراقي.

-كيان إسلامي سني معتدل قد يسيطر على جزء كبير من جنوب سوريا، بما في ذلك بعض ضواحي دمشق الشرقية ومعظم المنطقة الواقعة بين دمشق ومرتفعات الجولان (ليبرمان، صفحة 03) .

الفرع الثاني: السيناريو التو افقي

ويترجم هذا السيناريو بنشوء تفاهم دولي (روسي-أميركي) للدفع باتجاه قراءة توافقية لتطبيق بيان جنيف. هذا التفاهم سوف يحتاج بالطبع إلى تعاون أطرف الصراع الإقليميين سواء من أصدقاء المعارضة (السعودية وتركيا وقطر) أو حلفاء النظام (إيران) للضغط على أطراف الصراع السوريين للقبول بمثل هذا الحل. وفي حال توافر عناصر هذا السيناريو، سوف نشهد على الأرجح استئناف مسيرة جنيف بنسخة ثالثة يشارك فيها الإيرانيون هذه المرة، بدفع من المبعوث الأممي ستيفان دي مستورا، أو من يخلفه. هذا السيناريو سوف يكون مدفوعا بحسابات عقلانية لمختلف اللاعبين الخارجيين في الأزمة السورية ونابع بالدرجة الأولى من مخاوف من انزلاق سورية نحو الفوضى وتحولها إلى بؤرة إقليمية لإنتاج التطرف و"الإرهاب" (السورية) .

الفرع الثالث: سيناريو بقاء النظام

حيث لا يسجل النظام ضربة حاسمة ضد الفصائل المسلحة وإنما يسحقها بانتظام في المناطق كثيفة الاكتظاظ باستخدام مزاياه الساحقة من الأسلحة الثقيلة و القوات الجوية، والدليل على ذلك الحملات العسكرية للنظام و حلفاه على إدلب و التي تمكنوا من استرجاع بعض الأجزاء منها وبالتالي فان قدرة قوات النظام بمساعدة حلفائهم تجعلهم قادرين على استرجاع العديد من الأراضي الموجودة تحت سيطرة القوات المعارضة خصوصا في ظل الأزمات التي تعيشها المعارضة السورية المسلحة و الصراع بين مختلف الفصائل الذي تشهده، فهي تعيش في حالة لا استقرار لاسيما بعد تخلي الدول الممولة لها عنها كبعض دول الخليج (ليبمان، صفحة 03).

الفرع الرابع: سيناريو سقوط النظام

وفق هذا السيناريو يفرض المسلحون ما يكفي من الضغط على النظام السوري في عدة مجالات بحيث سيخسر النظام المورد البشري خاصة في العنصر العلوي، ما يعني تراجعا لصالح المعارضة، و طرح انهياره لا يعني انه ستقوم حكومة معارضة وطنية وإنما إلى نشوء خليط فوضوي من الإقطاعيات عبر أنحاء سوريا مختلفة التوجهات و الأيديولوجيات، بالإضافة إلى قانون قيصر و الحصار و العزلة التي سيفرضها على النظام و التي من المتوقع أن تؤدي إلى انهياره (اندروم، صفحة 06) .

إن ترجيح أحد هذه السيناريوهات وبغض النظر عن ما ستؤول إليه الأوضاع في سوريا، فان أي تسوية سوف تكون ضامنة لمصالح الدول في منطقة، وفي قلب هذه المصالح الموارد الغازية و ممرات نقلها، فسواء بالتوافق أو زوال النظام من عدمه فان الأمور لا يمكن أن تستقر حتى تضمن مصالح الأطراف في سوريا.

الخاتمة

لقد خلف الصراع الذي دام عشرة سنوات على الأقل في سوريا إلى سقوط مئات الآلاف من ضحايا الأبرياء ونزوح الملايين إلى دول الجوار وحتى إلى الدول الأوروبية، ورغم كل هذه النتائج إلا أن القوى الكبرى (روسيا والولايات المتحدة الأمريكية) مازالت تبحث عن السيطرة على مناطق النفوذ والممرات الاستراتيجية للنفط والغاز على حساب امن واستقرار الشعب السوري، فالصراع في البلاد مازال يفسر على انه بين النظام والمعارضة إلا أن جوهرة هو السيطرة على منابع والممرات الاستراتيجية للنفط والغاز.

نافلة القول و استنادا للعرض السابق فإننا نخلص إلى أهم النتائج التالية:

-1 هناك ارتباط وثيق بين البعد الجيوبوليتيكي والعملية السياسية، فكلما كان البعد الجيوبوليتيكي أكثر عمقا ومحورية تزايدت معه تعقيدات العملية السياسية في ذلك المجال.

-2 تعتبر الأزمات نتاجا لطموحات جيوسياسية (توسيع المجال الحيوي) و جيو-اقتصادية (الموارد) دفينة، في حين يتم إعلان مبررات سطحية إعلامية واهية.

-3 إن التصعيد الذي تعرفه الأزمة السورية حاليا ناجم عن تضارب المصالح الدولية و الإقليمية التي لها امتيازات سواء من بقاء النظام أو زواله.

-4 لا يمكن فهم الأزمة السورية بأنها أزمة سياسية بين معارضة ونظام بل هي أعمق من ذلك.

-5 الغاز الطبيعي أحد الأسباب الرئيسة في تمديد الصراع و تزايد حدته، مادام أنه لم يتمكن احد الأطراف المتصارعة من ضمان هذا المورد الطاقوية.

-6 الحالة السورية فريدة من نوعها إذ أنها مهمة ليس بسبب المورد الغازي فيها، وإنما هي أيضا مجال حيوي لتمرير مشاريع أنابيب الغاز الدولية.

-في الحالة السورية هناك عدم تناسق بين الإرادات الدولية والإقليمية والداخلي السوري فالأطراف الخارجية تخضع العملية السياسية في سوريا إلى المصالح الجيوبوليتيكية والاقتصادية المتمركزة على التراب السوري، في حين الداخل السوري سواء من النظام أو المعارضة لازال يُخضع الأزمة إلى صراع سياسي أيديولوجي، ما نتج عنه فشل في أي محاولات لتقريب وجهات النظر أو إيجاد حلول توافقية للأزمة.

- قائمة المراجع

Hussein Almohamad and Andreas Dittmann .(2016) .Oil in Syria between Terrorism and Dictatorship .(المجلد 05) Justus Liebig University of Giessen: Social Sciences.germany.

Thomas Costigan .(2017) .Syria Conflict and Regional Pipeline Geo-strategy . Centre for Counter Hegemonic Studies. australia

Thomas Costigan .(2017) .Syria Conflict and Regional Pipeline Geo-strategy . Centre for Counter Hegemonic Studies.

السورية. (بلا تاريخ). سورية وثلاثة سيناريوهات مستقبلية. تاريخ الاسترداد 27 06, 2022، من https://www.alsouria.net/content

الكسندر دوغين. (2004). سس الجيوبولتيكا مستقبل روسيا الجيوبولتيكي. (ترجمة عماد حاتم، المترجمون) بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

اندروم ليبمان.(2013) سيناريوهات مستقبلية بديلة لسوريا:التداعيات و التحديات الإقليمية بالنسبة للولايات المتحدة. مؤسسة راند. و م ا

اندور ليبرمان. سيناريوهات مستقبلية بديلة لسوريا:التداعيات و التحديات الإقليمية بالنسبة للولايات المتحدة. مؤسسة راند.

أنور حامد الدليمي. الغاز السوري و دوره في تغذية الصراعات العالمية " الحرب الخفية بين الشرق و الغرب. مركز الروابط للبحوث و الدراسات الاستراتيجية.

أنور حامد الدليمي. (2018). الغاز السوري و دوره في تغذية الصراعات العالمية " الحرب الخفية بين الشرق و الغرب". مركز الروابط للبحوث و الدراسات الاستراتيجية. العراق

جون بيليس و ستيف سميث (المحرر). (2004). عولمة السياسة العالمية. (ترجمة مركز الخليج للأبحاث، المترجمون) الإمارات: مركز الخليج للأبحاث.

علي احمد أزاد. (بلا تاريخ).. (موقع داعش في حرب الغاز ومسارات أنابيبه، المنتج) تاريخ الاسترداد 23 02, 2019، من http://rudaw.net/Library/Files/Uploaded%20Files/arabic/Last-PDF-28112014.pdf

فوزي الشعيبي. (2018). ندوة الأسبوع، قناة الميادين، بيروت.

ليبمان اندروم. سيناريوهات مستقبلية بديلة لسوريا:التداعيات و التحديات الإقليمية بالنسبة للولايات المتحدة. مؤسسة راند.

مرجع سابق.

مركز الجزيرة للدراسات. (2015). مخرج التسوية: تداعيات انقلاب الموازين العسكرية بسوريا. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات.

مروان قبلان. (2013). موقع السياسة و العلاقات الدولية في الصراع على سورية: تضارب المصالح و تقاطعها في الأزمة السورية ". بيروت: المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات.

مروان قبلان. (2013). موقع السياسة و العلاقات الدولية في الصراع على سورية: تضارب المصالح و تقاطعها في الأزمة السورية "، في خلفيات الثورة السورية دراسات سورية. بيروت: المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات.